العنف الرمزي عبر مواقع التواصل الاجتماعي/الملمح والتجاوز[1]

صابر بقور
جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر

ملخص:

شهدت الجزائر استخداما متزايدا/متضخما لمواقع التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها موقع فايسبوك الذي زاد عدد مستخدميه من ثلاثة (03) ملايين مشترك سنة 2012، إلى سبعة (07) ملايين خلال 2014 ليقفز إلى أكثر من الضعف مع نهاية سنة 2016 بـ 15 مليون منتسب، ومع ارتفاع التواجد الافتراضي ترتفع طردا أشكال العنف الرمزي من قبل المستخدمين حيث لم تعد الجريمة الإلكترونية وحدها التهديد المعلن لتفاقم العنف المادي والمعنوي الناتجين عن استخدام الويب 2.0، بل أصبح هذا النوع من العنف المستتر اللاواعي الذي قد يكون كلمة، صورة، إيحاء، تضمين، إحالة،... بشكل قصدي أو عرضي في أحيان كثيرة والذي لا يتم إدراكه بشكل جلي كما العنف المادي، بل يتراكم لا شعوريا في ذهن المستخدم ليدمره ويبعده عن الفضاء العمومي الافتراضي في صيرورة تطورية تقضي بإقصاء الأضعف لصالح الأقوى، ولأن مبادئ التربية الإعلامية بدءا ثم التربية الرقمية لاحقا تستدعي منا أولا توعية المتلقي بأنماط وأشكال هذا العنف وأثاره السلبية عليه وبالتالي سبل التكيف معه، دحضه ثم تجاوزه تروم هذه الدراسة من خلال التجربة الإثنوغرافية إلى معايشة أشكال العنف الرمزي لدى مستخدمي موقع فايسبوك في الجزائر لوصفه وتحديد أبعاده وأشكاله بهدف بناء إستراتيجية توعوية تربوية تربي المستخدم على تجاوزها في محاولة للانتقال من أخلاقيات القائم بالاتصال إلى أخلاقيات التلقي في وسائل الإعلام عبر الخطين الكلاسيكي والجديد.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، العنف الرمزي، الفايسبوك، إستراتيجية توعوية، الجزائر.

[1]- محور الدراسة /المحور الثالث: التربية الإعلامية في ظل الإعلام الجديد– التربية الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعية.

Abstrait

L'utilisation des réseaux sociaux, notamment facebook, en Algérie, est en progression continue. En effet, le nombre d'utilisateurs qui était de l'ordre de trois millions en 2012 et de sept millions en 2014, a atteint les 15 millions vers la fin de l'année 2016. En parallèle de cette augmentation de la présence virtuelle apparaît une nouvelle forme de violence, en l'occurrence la violence symbolique chez les usagers du dit–réseau. Ainsi la cybercriminalité n'est plus la seule menace déclarée comme étant la conséquence de l'aggravation des violences physique et morale provoquées par l'utilisation du web 2.0 mais ce type de violences latentes et inconscientes pourrait être un mot, une image, une suggestion, une inclusion, un renvoi … de manière intentionnelle ou accidentelle dans de nombreux cas où il n'est pas clairement perçu à l'instar de la violence physique. Les violences latente et inconsciente s'accumulent dans l'esprit de l'individu pour le détruire et l'éloigner de l'espace public dans un processus visant l'exclusion du plus faible en faveur du plus fort. Alors l'éducation d'abord dans le domaine médiatique puis numérique nécessite en premier lieu la sensibilisation de l'utilisateur vis–à–vis des différents types de violences et les conséquences néfastes que pourraient engendrer celles–ci sur lui. Ce qui amènerait l'usager à s'adapter à la situation, avant de l'atténuer pour enfin la dépasser. A travers une approche ethnographique, cette étude tente de mettre à nu les formes de ce genre de violences chez les utilisateurs de facebook en Algérie pour décrire et déterminer ses dimensions et formes. L'objectif est de construire une stratégie de sensibilisation éducative servant d'aide pour l'usager de la toile afin de passer de l'étique de transmission à celle de la réception au niveau des médias classiques et nouveaux médias.

Mots clés : Réseaux sociaux, Violence symbolique, Facebook ,stratégie de sensibilisation ,Algérie.

مقدمة:

بين المصلحة والقوة تأرجح مفهوم العنف في أوساط المجتمعات البشرية، هذا الأخير الذي يعتبر متغيرا اجتماعيا يصعب القبض عليه في ظل تعدد أبعاده السياسية، الاقتصادية، الثقافية ثم في مرحلة أخيرة الإعلامية، ولعل تاريخانية هذا الفعل أحدثت تراكما نفسيا في وجدان الأفراد والجماعات كما أضحى وجها معلنا للتغير الاجتماعي وفقا لمنظور الصراع الماركسي، حيث لا بد –من منطلق هذا الأخير– أن تحدث تغيرات في علاقة القوة والخضوع بين الطبقات الاجتماعية وفقا لفعل العنف فتصبح العلاقة بين من يملك ولا يملك في كل المستويات من المادي البحت إلى المجرد المحض عرضة لاهتزازات تكتونية اجتماعية لتصبح حتمية كونية يستحيل الإفلات منها، ولعل هذا الطرح التاريخي للعنف يأخذنا أبعد إذا ما ربطناه بكنه العملية الاتصالية والإعلامية فمارشال ماكلوهان عبر نظرية الانتقالات والحتمية التكنولوجية يربط أي شكل من أشكال التغير الاجتماعي المفضية إلى واقع اجتماعي جديد بالوسيلة فاكتشاف الزراعة ولدت مجتمعا زراعيا وابتكار الصناعة أحدث مجتمعا صناعيا وتطور تكنولوجيات الاتصال والإعلام أعطى مجتمعا تواصليا فما ترى هذه الأخيرة فاعلة بالعنف؛ لقد طورت شكلا جديد منه من عنف مادي، معنوي وصولا إلى الرمزي هذا المتخفي خلف القوة الناعمة التي جاء بها النظام العالمي الجديد.

إن ثنائية العنف الرمزي والإعلام آخذة في التطور فكلما ظهرت وسيلة اتصالية وإعلامية جديدة إلا وظهر معها وجه آخر من العنف بالرموز ولعل أخطرها على الإطلاق شبكات التواصل الاجتماعي التي انصهرت فيها كل الأجيال الإعلامية الكلاسيكية لتصبح جديدة، كما أن دخول عدد هائل من الجزائريين ضمن مختلف هذه الوسائل وبوتيرة مضاعفة خلال الثلاث سنوات الأخيرة من شأنه أن يزيد من شرعية التساؤل حول أنماط العنف الرمزي الممارس عبر هذه المنصات ونخص منها موقع فايسبوك الأكثر انتشارا واستخداما لدى دول شمال إفريقيا، أسبابه، مظاهره والأهم استراتيجيات التقليل والنفاذ منه لحماية المستخدم من آثاره الذهنية والاجتماعية المستترة والمدمرة في آن واحد؛ فما هي أنماط العنف الرمزي الممارسة بين مستخدمي موقع فايسبوك في الجزائر، ما مظاهرها وما سبل النفاذ منها للحفاظ على البنية الاجتماعية العامة؟

أولا:العنف ومواقع التواصل الاجتماعي؛ منظور رمزي:

على الرغم من انفصال التفاعلية الرمزية كبراديغم مستقل له رؤيته الخاصة للواقع الاجتماعي باعتباره نظام للمعاني المشتركة التي يبنيها الأفراد عن طريق الرموز واللغة، إلا أن دواليبها ظلت معلقة بشكل غير معلن بالتوجه الماركسي؛ حيث يظهر ذلك جليا من خلال افتراضها الثاني القائل : تفسير الأفراد للواقع دلالة متفق عليها من الناحية الاجتماعية وذات إيقاع محدد من الناحية الفردية؛ وعليه يعتبر هذا الإيقاع المحدد فرديا مدخلا للعنف الرمزي الذي يربطه بيار بورديو[1] بالنفوذ والقوة كمصدر له وذلك بقوله: " إن أي نفوذ يقوم على العنف الرمزي كما أن أي نفوذ يفلح في فرض دلالات معينة بوصفها دلالات شرعية حاجبا بذلك علاقات القوة التي تؤصل قوته"(1)، وعليه تصبح المعاني المشتركة التي يستحدثها النسيج الاجتماعي موجهة لصالح السلطة التي يجب أن تبحث عن سبل لتفكيكها وإعادة هيكلتها في كل مرة تتعارض مع مصالحها من خلال إنعاش العوامل المنتجة لممارسة العنف الرمزي من السلطة إلى المجتمع في مرحلة أولى ثم بين أفراد المجتمع فيما بينهم في مرحلة موالية.

و يوضح بوريدو مفهوم العنف الرمزي بأنه؛ "عنف غير فيزيائي، يتم أساسا عبر وسائل التربية وتلقين المعرفة والأيديولوجيا، وهو شكل لطيف وغير محسوس من العنف، كما أنه غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم. وينتقد بورديو الفكر الماركسي الذي لم يولي اهتماما كبيرا للأشكال المختلفة للعنف الرمزي، مهتما أكثرا بأشكال العنف المادي والاقتصادي. كما أشار إلى أن هذا النوع من العنف يمارس تأثيره حتى في المجال الاقتصادي نفسه، كما أنه فعال ويحقق نتائج أكثر من تلك التي يمكن أن يحققها العنف المادي أو البوليسي."(2) كما أنه "متعدد الأبعاد وهو أقرب إلى الإحساس منه إلى المادة، هذا العنف لا يؤثر فقط على الأفراد، بل يؤثر في علاقة جدلية بين الأفراد من جهة والطبقات أو البنيات الاجتماعية من جهة أخرى، إنه عنف يتسرب إلى كلا الجانبين ضمن خط جدلي وديناميي مستمر لا ينقطع مع تطور وتغير المجتمع."(3)، و"يحضر- هذا العنف في المجتمع بشكل يطغى عليه بعد التسلط والضغط والخضوع والهيمنة واللاتوازن وغياب العدل واختلال الحق" (4) إذ ذاك يصبح شكلا من أشكال القهر والتأديب الاجتماعي ووسيلة من وسائل تفتيت المجتمع وتذريره في محاولة لطمس الوعي الجمعي وظهور نسخ لا متناهية من النماذج وأضدادها داخل المجتمع وربما داخل الفرد الواحد وبالتالي العجز عن

[1] بيار بورديو؛ مفكر وسوسيولوجي فرنسي ومؤسس نظرية العنف الرمزي.

تفسير الواقع الموضوعي وتمزق الخبرة المشتركة[1]، ووفقا لهذه المعطيات تنجح السلطة في تحقيق المزيد من أهدافها لعل أهمها الإمساك المتين بعصا النفوذ والقوة للحفاظ على الوضع القائم/الإغراق في الوضع من أجل البقاء فيه.

هذا ويطرح التطور الفائق لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، زمنا إعلاميا جديدا تولد بموجبه أنماط هيمنة جديدة؛ تتغير بموجبه المفاهيم والأبعاد الخاصة بالتصورات والتصرفات المنبثقة عنها، هذه المنصات الالكترونية التي تعتمد على شبكة الويب تأخذ بعدا معرفيا آخر في إعادة صياغة التعارف والصور الذهنية المحددة لعلاقة الأنا بالآخر، من خلال خصائصها التي تتسم بالمرونة، الآنية، التفاعلية، التفتيت، تنامي الفردانية والعزلة، بل يمكن القول أنها شكلت بعدا جديدا للعصبية الخلدونية يمكن أن نسميها مجازفة العصبية الالكترونية أو الافتراضية، التي تربط الأفراد في شكل حزم افتراضية،حيث تؤكد جل بحوث الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي أنه من الصعب التنبؤ بسلوكها ففي الوقت الذي يرى فيه بعض المتخصصين أن مواقع التواصل الاجتماعية من فايسبوك، تويتر، ماي سبايس، لينكد إين، يوتيوب، مواقع التدوين والبلوغر وغيرها من المواقع الإلكترونية الإخبارية المتعلقة بصحافة المواطن وكذا القنوات الإذاعية والتلفزيونية الهاوية وحتى الأعمال السينمائية الفردية أنها لعبت دورا كبيرا في إشعال فتيل الربيع العربي والثورات المطالبة بالتغيير، يرى فريق آخر من الباحثين، أن التغيير الذي لم تحدثه هذه الثورات مرده أن هذه الوسائط مخدرة أكثر من الإعلام الكلاسيكي للشعوب؛ ولعل مفهوم التخدير الإعلامي الكلاسيكي ثم الابتلاع السيبراني الجديد كخلل وظيفي ضمن الطرح البنائي الوظيفي مدخل جدي لبروز العنف الرمزي أين يتعالق هذا التخدير مع مستويات العنف الرمزي في علاقة سببية جدلية.

"و يعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعة الإعلام الجديد بأنه اندماج الكومبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة، أما قاموس ليستر فيعرفه بأنه مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكومبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام؛ الطباعة، التصوير الفوتوغرافي، الصوت والفيديو."(5)

و يشير قاموس الكومبيوتر إلى مدخلين في تعريف الإعلام الجديد إلى أن "الإعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها

[1]- ولبر شرام؛ هو من أضاف متغير/مفهوم/عنصر الخبرة المشتركة إلى نماذج الاتصال التفاعلية.

المختلفة، التلفزيون الرقمي والإنترنت وهو يدل كذلك على استخدام الكمبيوترات الشخصية والنقالة فضلا عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة، ويخدم أي نوع من أنواع الكومبيوتر على نحو ما تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقمي؛ إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو بالتزامن مع معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال وغيرها مباشرة من الكومبيوتر"(6)، كما يشير المفهوم أيضا إلى "الطرق الجديدة للاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم أجمع".(7)

هذا ويعرف المجتمع الجزائري إقبالا متزايدا حيال الاشتراك في الإنترنت الذي بلغ سنة 2016 ؛ 15 مليون مشترك وهو ذات عدد مشتركي موقع فايسبوك (أنظر الشكل رقم01)، وإن كانت القراءة الأولية لهذه الإحصائيات تشير إلى أن كل مشترك بالإنترنت يملك حسابا على الفايسبوك إلا أنه يجب تجاوزها قطعا؛ لأن الاشتراك يكون فرديا لاستخدام عائلي متعدد الأفراد إلى جانب امتلاك الفرد الواحد لأكثر من حساب على الموقع وبالتالي فإن هذا الرقم الذي يربط بين عدد مشتركي الإنترنت ومستخدمي موقع فايسبوك عرضي(أنظر الشكل 02)، وما يهم في هذا الطرح هذا الإقبال المتضاعف على شبكة الويب وتحديدا موقع فايسبوك؛ فما هي أنماط العنف الرمزي الناتجة عن هذا التشبيك المقصود تقنيا العارض استخداما ؟

الشكل رقم (1) :يبين تنامي استخدام الإنترنت مقارنة بعدد السكان في الجزائر بين سنتي 2000و 2016

YEAR	Users	Population	% Pen.
2000	50,000	31,795,500	0.2 %
2005	1,920,000	33,033,546	5.8 %
2007	2,460,000	33,506,567	7.3 %
2008	3,500,000	33,769,669	10.4 %
2009	4,100,000	34,178,188	12.0 %
2010	4,700,000	34,586,184	13.6 %
2012	5,230,000	37,367,226	14.0 %
2013	6,404,264	38,813,722	16.5 %
2014	6,669,927	38,813,722	17.2 %
2015	11,000,000	39,542,166	27.8 %
2016	15,000,000	40,263,711	37.3 %

المصدر:موقع Internet world stats(8)

الشكل رقم (02): يوضح عدد مستخدمي الإنترنت وموقع فايسبوك في الجزائر نهاية سنة 2016

المصدر:موقع Internet world stats(9)

ثانيا:مظاهر العنف الرمزي لدى المستخدمين الجزائريين لموقع فايسبوك؛ الملمح:

إن القول بالمقاربة الإثنوغرافية في ظل التفاعلية الرمزية يسمح برصد انتقال الرموز وتفاعلها، صراعها وتدافعها، الثابت منها والزائل بفعل القوة، وذلك من خلال تجربة الملاحظة بالمعايشة/المشاركة، حيث تظهر من خلالها أنماط مختلفة للعنف الرمزي المستتر الذي لا يدركه من يقع عليهم في أحيان كثيرة ويتجاهله قصدا أو عن غير قصد مرتكبوه، إن هذه النظرة تكشف بجلاء عن الصراع الاجتماعي الناتج عن ذيوع الظلم الاجتماعي، تغييب القانون والاضطهاد الذي تعيشه الطبقة المتوسطة[1]، كما تفصح أيضا عن حجم الاحتقان الاجتماعي المؤدي إلى صراع الفواعل على موقع فايسبوك أين يصبح العنف الرمزي وسيلة من وسائل تقسيم المجتمع وإضعاف بنياته وقد تكشف لنا من متابعة الخيط الخطابي لهذا العنف العديد من الثنائيات المتصارعة كل ثنائية تشكل جبهتين اجتماعيتين يعنف كلاهما الآخر رمزيا وفقا لمقادير القوة والغلبة ولعل أم هذه الثنائيات التي توصلنا إليها ما يأتي:

أ) الصراع بين العلمانيين والإسلاميين:

إن أهم خاصية لمواقع التواصل الاجتماعي هي المكاشفة، التعرية وتخفيف الوطأة النفسية للمقدس، المتعالي في شقيه اللاهوتي والناسوتي، الذي يعوضه المستخدمون بما يصطلح عليه

[1]- هنا يجب الإشارة أن الولوج للإنترنت ينطلق من الطبقة المتوسطة/ العاملة ويستغرق فيها ويقل بين الطبقتين التي تعتليها وما دونها.

بورديو بالتسامي الزائف الناتج عن سوء استخدام المعرفة، إذ ذاك تصبح أنماط المعرفة المؤدلجة والمشوهة سببا مباشرا في تنامي العنف الرمزي ففي العادة يرتبط العنف بجهل الأشياء وليس إدراكها ومن مظاهر العنف الرمزي بين متبني النسخة العلمانية/ الإسلامية الجزائرية العديد من المصطلحات والرموز وحتى الصور؛ حيث تتمظهر الرموز اللغوية التي يستخدمها قادة[1] العلمانية وأتباعهم لممارسة العنف الرمزي على الطرف الآخر في: الظلاميون، أصحاب اللحى،أصحاب الجواري وملك اليمين، دعاة الحرة والأمة، بول البعير، الوانتوثريست[2]، الفرقة الناجية،الحالمون، الرومانسيون، أصحاب الجنة، التُراثيون، الخوانجية[3]، جماعة الأندلس[4]، الفصاميون، داعش...أيضا من بين أشكال العنف الرمزي العلماني في الجزائر هو السخرية من عادات المسلم ومعتقداته التي يعبر عنها بلغة الإسلام ممثلا في القرآن والسنة ككتابة منشورات بطريقة رواة الحديث النبوي الشريف، أو صياغة أفكار بالاقتباس من الآيات القرآنية، كما تستخدم ألفاظ عديدة للسخرية من لغة المسلم مثل : لله درك، خيرة الشباب، شد الله عضدك/ ساعدك...

أما الرموز اللغوية التي يستخدمها قادة الإسلاميين ومريديهم فلا تقل هي الأخرى عنفا رمزيا مشحونا بالبغض والكراهية ومن بين هذه الرموز اللغوية نجد ألفاظ: لومبة[5]، المستشرقون الجدد، عبيد الغرب، أصحاب الشبهات، دعاة الزنا والتحرر الجنسي،ثورة المراحيض[6]...و بعيدا عن تحليل العلاقة بين الطرح العلماني والطرح الديني حيث أننا حسمنا سلفا بأنها أشكال مشوهة عن المعرفة الحقيقية المتعلقة بهما، يمكن أن نلاحظ القدرة المدمرة للعنف الرمزي التي تؤدي في

[1] – تقع النخبة في قمة هرم العنف الرمزي فهي من تتحكم فيه وتصبه على الأتباع نظرا لعجزها عن النفاذ/مجابهة نفوذ السلطة وتغيير الوضع لصالحها، وتتشكل ملامح هذه النخبة في الجزائر أساسا في، الصحفيين، الأساتذة الجامعيين، الأدباء خصوصا الروائيين من الجيل الجديد.

[2] –هو مصطلح مشتق من one two three، المرتبط بالشعار الجزائري one two three viva l'algérie، في إحالة رمزية إلى أن الإسلاميين أصحاب شعارات فقط، وعادة يرتبط الشعار بالحماس والانفعال الذي يغيب عنه الإدراك العقلي/المنطقي.

[3] –تعني الإخوان.

[4] –في إحالة لحنين وأحلام المسلمين في استرجاع عزة وسيادة الدولة الإسلامية في الأندلس/إسبانيا الإسلامية والدولة العثمانية وغيرها من انتصارات وفتوحات المسلمين التي قامت بعهدها حضارة إسلامية عريقة.

[5] – كلمة في العامية الجزائرية تعني مصباح؛ وتحيل رمزيا إلى العلمانيين دعاة التنوير.

[6] – وسم انتشر مؤخرا ويحيل إلى عمليات إجهاض الأجنة في المراحيض وقنوات الصرف الصحي كنتيجة للتحرر الجنسي.

نهاية المطاف إلى استلاب الفرد من ذاته بفعل الاحتقار، الدفع إلى الشعور بالدونية، الانحطـاط، الرجعية وفي النهاية الوقوع في شراك اللاجدوى والعدمية الذين يحيلان إلى مزيد مـن التخـدير على المستوى الفردي والتذرير على المستوى الاجتماعي.

ب) الصراع النسوي الذكوري:

لقد أبرز العنف المادي على مدار قرون عديدة تعرض المرأة للتعنيف الجسدي من ضرب، اغتصـاب وغيرها من أشكال الاعتداء الجسدي، هذا التراكم في وجدان المرأة العربية عموما والجزائرية في وجه الخصوص فجر ثورة عنف رمزي نسوي في مواجهة السلطة الذكورية يمكن أن نقول بثقة بأنها ردة الفعل العنيفة التي استقرت رموزها في ذهن الرجل العالمي حتى تحول إدراكه لذاته من ذكر إلى رجل بميول أنثوية وهو ما يفسر تزايـد معـدلات الشـذوذ الجنسي- التحـول الجنسي- Transsexualité، وعمليات التجميل التي يخضع لها الرجال في العالم استسلاما لسـطوة جـمال النساء الطبيعي والصناعي، وهو أيضا شكل غير معلن لاستلاب العنف الرمزي النسـوي للهويـة الذكورية.

ومن أشكال العنف الرمزي النسوي المصاحب للتمرد على الاستغلال الجنسي للمرأة عـبر موقـع فايسبوك في الجزائر ومن خلال العديد من صفحات الفيمينيزم/Féminisme، اسـتخدام العديـد من الرموز اللغوية مثل" بنك المني Banque de sperme[1]، الرجل عديم الفائـدة، عـذريتي ملـكي، الحرية..."هنا تتعرض وحـدة الهويـة للخطـر بصـورة دائمـة تحـت تـأثير عوامـل الانشـطار والانكماش والتجزؤ والتفكك والإحساس بالدونية، وهذا ما يطلق عليه علماء النفس قلق التفكك والانشطار (Angoisse de morcellement) الذي يضع الفرد تحت تأثير نوبة من الشعور بـالقلق والتوتر. فالفرد، رغم شعوره بوحدته وتماسكه وتفرده، ليس واحدا على مرّ الزمن، ومن ثم فـإن أفعاله في وقت محدد ليست تعبيرا مؤكدا للشعور بالهوية وتأكيد الذات."(10)

و من خلال صفحة "سافرات جزائريات" النسوية على موقـع فايسـبوك، نجـد أن هـذا العنـف الرمزي يُناصب هجوما مباشرا وغير مباشر على الدين حيث تم عرض صـور لجـواري عاريـات الجسد وقيل أنهن كن يخدمن عمر بن الخطاب وبأنه كـان يضربـهن إذا حاولـت ولحـدة مـنهن تغطية أي جزء من جسمها المكشوف في محاولة لنسج علاقة بين جسم المرأة ورجل الـدين وفي تدليل مقصود على عمر بن الخطاب الذي عرف بتدينـه الشـديد وورعـه في الـدفاع عـن الـدين

[1]- في إحالة إلى زوال حاجة المرأة للرجل الإنجاب.

الإسلامي من خلال تفكيك علاقة رجل الدين بدينه وربطها بالإله الموازي الجديد أو الوثنية القائمة على دين جسد المرأة، كما أن الخط المضمن الآخر يكشف عن علاقة قديمة وموازية للديانات السماوية بالإنسان وهي علاقة الرجل بجسد المرأة، وتطور هذا الخطاب المفكك للدين باسم الدفاع عن حقوق المرأة وتحريرها إلى إعادة بناء المفاهيم التي قدمها الإسلام بشأن المرأة حيث تصر المنشورات على أن الإسلام يموضع المرأة على أنها ناقصة عقل ودين، نجسة، ضلع قاصر، مثيرة للفتنة، شهادتها بنصف شهادة الرجل، يجب أن تضرب، لا يجوز أن تخرج بمفردها...كما يتطور هذا الخطاب عُقديا باتجاه ضرب عناصر العقيدة من خلال إتباع الإستراتيجية التلميحية في تشويه العناصر المعرفية والوجدانية المرتبطة بحالة التدين داخل الخطاب وذلك بربط فكرة الآخرة بأنها تحوي جائزة للرجل تتمثل في الحور العين وبالتالي المرأة ستظل أداة لإشباع غرائز الرجل وحاجاته الجنسية حتى في الآخرة على طريقة " لنا في الدنيا جاريات وفى الجنة حوريات"(11)

ج) صراع الهوية الثقافية:

يعتبر مفهوم "إعادة الإنتاج"أحد أهم المفاهيم التي جادت بها نظرية بيار بورديو حول العنف الرمزي والذي يحيل إلى" مجموع إجراءات تاريخية، هي في الوقت نفسه مستقلة ومتقاطعة، بحيث تندمغ بواسطتها داخل السياقات الأكثر تنوعا لتعيد إنتاج نفس التقسيمات الطبقية في المجتمع ذاته، أو في الوقت نفسه" (12)، كما يقول عنه بورديو في كتابه (إعادة الإنتاج) "من المفهوم أن علم الاجتماع كان مرتبطا جزئيا بالقوى التاريخية التي كانت تحدد طبيعة علاقات القوى التي يجب الكشف عنها في كل حقبة من حقب التاريخ."(13)، وعليه تصبح ظروف إعادة الإنتاج الطبقي القائم على اللاعدل، اللامساواة واللاتوازن هي نفسها ظروف إنتاج العنف الرمزي داخل هذه المجتمعات.

و قد تحولت مسألة الهوية الثقافية في الجزائر كرأس مال رمزي –بفعل متلازمة الكشف والمكاشفة الافتراضية– إلى إعادة إنتاج جديدة للعنف الرمزي بين مستخدمي الفايسبوك في الجزائر وقد إزدادت حدة بعد إعلان ترسيم الأمازيغية كلغة رسمية في الجزائر مطلع العام الفارط، حيث فاضت صفحات الفايسبوك بخطاب العنصرية والكراهية منتقلا من الكتابات الجدارية في الشوارع (أنظر الشكل رقم 03) إلى جدران الفايسبوك حيث تنوعت الرموز اللغوية المبطنة للعنف المتبادل بين عرب وأمازيغ الجزائر في منطوقات متعددة كخونة، كلاب فرنسا، أحفاد برنارد هنري ليفي الصهيوني، أعداء الوطن، الحركى الجدد، الزواف، أعداء الهوية،

الدواعش، الوهابيون، الإرهابيون، الرجعيون،. .." وبما أن العنف الرمزي يستهدف الإنسان وثقته بنفسه وهويته وانتماءه، فهو أخطر من العنف المادي المباشر وأعمق أثراً. كونه يأتي وفق صيغ أقرب إلى البداهات التي تمثل الفطرة فيحجب إمكانية تفحصها والتشكيك بها كما أنه يتزين بثوب المقدس، بوصفه حقلاً يتعدى حدود النقاش، موظفاً الميول الاعتقادية والاستعدادات الإيمانية لخدمة غاياته، وهو أخطر أيضاً، لأنه يدّعي امتلاك الحقيقة ويحتكر حق التعبير عنها والنطق باسمها. علاوة على أنه يوظّف لخدمة وتبرير الممارسات العنيفة الأخرى من سياسية واقتصادية واجتماعية محاولاً تقديمها على أنها من طبيعة الأمور."(14)

الشكل رقم (03):عنف رمزي عنصري بشأن مسالة الهوية في الجزائر على أحد جدران ولاية باتنة[1]

المصدر: صورة من التقاط الباحث

إن ملامح العنف الرمزي وتجلياته اللغوية لدى المستخدمين الجزائريين لموقع فايسبوك والتي دفعتنا المتابعة الإثنوغرافية إلى تكشيف ثلاثة مستويات صراعية منها والمتمثلة في الصراع العلماني الإسلامي، الصراع النسوي الذكوري والصراع العربي الأمازيغي ليست الوحيدة والنهائية المتفشية في 15 مليون حساب/مستخدم، حيث أن مظاهر التقسيم الأيديولوجي

[1] -أحد ولايات الجزائر

للمجتمع تأخذ أبعاد أخرى بين مختلف الفئات الاجتماعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي بتنا نعرف أن مستخدميها ينشدون عرض المثالية في كل شيء والتي أصبح من الممكن تفسيرها على أنها ردة فعل بسيكو_اجتماعية حيال العنف الرمزي لدى فئات معينة لتتحول إلى عنف آخر حيال فئات أخرى في صيرورة لا نهائية؛ وربما التفاني في إبراز الجسد المثالي لكلا الجنسين (خصوصا الذكور من خلال قاعات كمال الأجسام) إلى جانب عرض حياة الرفاه من خلال مشاركة الأسفار، الأزياء، الأطعمة. ..و حتى الفنون والإبداع التي تتحول إلى عنف رمزي يسير في خطين الأول الشعور بالدونية لعدم القدرة على الإتيان بذات الإبداع من منظور المقارنة، أما الثاني فيتمثل في رفض تذوق هذا الفن وتجاهله لأنه لا يعبر عن الواقع الاجتماعي أو شكل مضمر للهروب منه وفي هذا التجاهل بداية نقطة جديدة في العنف الرمزي حيال الفنانين والمبدعين.

هذا وتجدر الإشارة إلى العنف الرمزي عبر مواقع التواصل الاجتماعي في شقها التواصلي المتعلق بغرف الحوار وعلب الدردشة، يأخذ أبعاد وتجليات أخرى من سعي لإشباع الغريزة الجنسية، وإشباع الرغبة في إظهار القوة والسطوة على الآخر التي قد تصل إلى أقصى تمثلاتها المتعلقة بالسادية الإلكترونية والجلاد الافتراضي، اللذين يتعلقان بالرغبة المرضية في إلحاق الأذى بالآخر وتدميره وغيرها من الغايات المستترة التي تحجبها هذه الغرف المظلمة.

ثالثا: العنف الرمزي كمفهوم متاخم للنقد:

يحاول المثقفون الإفلات من تهمة العنف الرمزي الذي يمارسونه عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ نتيجة للاضطهاد الذي يمارس عليهم رمزيا من قبل السلطة ليسقطوه على أتباعهم ضمن صيرورة التفكيك الاجتماعي من خلال تعويضه بمفهوم النقد، حيث يرفضون وسم العلاقة بين السلطة، النخبة والجمهور بالعنف الرمزي المستتر الذي يسعى للحفاظ على الوضع القائم لصالح النافذين، وحججهم في ذلك انه من غير الممكن أن يحجموا عن نقد الواقع الاجتماعي كمدخل لإحداث التغير الاجتماعي بحجة تعنيف المتلقين رمزيا، تدميرهم ذهنيا وتشتيت الوعي الجمعي، هنا تطفو على السطح ثنائية متناقضة بين المساعي العلنية النخبوية النقدية لإعادة البناء والمكامن الخفية لها المؤدية إلى الهدم من خلال صيرورة العنف الرمزي، هذه الثنائية ترتبط وجوبا لا خيارا بمدى وعي هذه النخبة لممارستها لأشكال العنف الرمزي الذي يهدف إلى شرعنة السلطة ودلالات تجليها في المجتمع، مما يقضي إعادة صياغة خطاباتها بما يتوافق وآلية البناء بعيدا عن أسلوب وصاية الكبار على الصغار، ذلك أن النقد في حقيقته تعبيرٌ عن موقفٍ كلي

متكامل في النظرة إلى الواقع عامَّةً، يبدأ بالتـذوُّق؛ أي: القـدرة عـلى التمييـز، ويعـبرُ منهـا إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم، خطوات لا تُغنِي إحداها عن الأخرى، وهي متدرجةٌ على هذا النسق؛ كي يتَّخذَ الموقف نهجًا واضحًا، مؤصلاً على قواعد - جزئيَّة أو عامَّة - مؤيدًا بقوَّة الملكـة بعد قوَّة التمييز" (15) ؛ وعليه يمكننا أن نلاحظ أن للنقد البناء مدخل قوة يمكن أن يرأب رمزيـة العنف الهدام وهنا تتضح الفروق بين الحدود المتاخمة للمصطلحين إذ ذاك تُدحض حجة النخبـة في تعاطيها مع الواقع الاجتماعي وترفع عنها تهمة نخبة البلاط.

رابعا: العنف الرمزي عبر موقع فايسبوك في الجزائر؛ التجاوز:

إن الهدف من تكشيف ملامح العنف الرمزي عبر موقع فايسـبوك في الجزائـر مـن خـلال هـذه الدراسة الإثنوغرافية هو وضع رؤية إستراتيجية توعوية تربويـة تحمـي مسـتخدمي الفضـاء العمومي الافتراضي في الجزائر من الآثار السلبية المدمرة للعنف الرمزي إن كـان عـلى المسـتوى الفردي أو الاجتماعي وعليه سنطرح هذه الإسـتراتيجية في بعـدين فـردي متعلـق بالمسـتخدم ومؤسساتي متعلق بالمجتمع وهياكله:

أ) البعد الفردي/المستخدم؛

- إن أول خطوة في مسار رأب العنف الرمزي بالنسبة للمستخدم الجزائري لموقع فايسبوك هـو وعيه واستشعاره المصحوبين باعترافه بينه وبين نفسه أولا، ثم أمام الآخـرين بتعرضـه للعنـف الرمزي عبر هذا الموقع وفاعليه حتى تتكشف معالم هذا العنف الخفية وتظهر للعيان.
- بعد الاعتراف بالتعرض للعنف الرمزي، على المستخدم أن يسأل نفسه عن الهدف من تواجـده على هذه المنصة؛ ذلك أن التواجد المبالغ فيه طوال الوقت دون هدف محـدد كشـكل مـن أشـكال الإدمان يهدد الصحة النفسية للمستخدم الذي يزيد من فرص تعرضه للعنـف الرمـزي اللاواعـي طردا مع ولوجه للفايسبوك، ويمكن أن نصطلح على هذا التواجد الدائم غـير الهـادف بالتواجـد الزنزاني[1]، في مقابل التواجد السيبراني.
- بعد تحديد الهدف من التواجد على هذه المنصة، سيضبط المستخدم طردا ساعات ولوجه لهـا، هنا يتوجب عليه إدراك أن العنف الرمزي الذي يتعرض لـه نـاتج عـن أدلجـة المعرفـة وتفكيكهـا

[1] -من زنزانة /بمعنى زنزانة افتراضية تحتجز المستخدم طوال الوقت بمحض إرادته .

وبالتالي وقوعه ضحية لها إذ ذاك يصبح الاعتراف بـأن هـذه المواقـع لا تعتـبر مصـدرا موثوقـا للمعرفة التي نبني بها تصوراتنا ورموزنا عن واقعنا الاجتماعي محاولين بناء الجدار الفاصل بين المعلومة التي تحتمل الصدق أو الكذب /القضية والمعرفة التي تنزع لأن تكون صادقة.

- الوعي بأن مواقع التواصل الاجتماعي ليست مصدرا للمعرفة وبالتالي لا يجب تبنـي كـل مـا يطرح عليها من أفكار يشكل المدخل الأساس لرأب رمزية هذه الإيـديولوجيات في التعـدي عـلى منظومة الوعي الخاصة بالمستخدم وبالتالي التقليل من فرص التعرض للعنف الرمزي.

- إن المجال العمومي الافتراضي يشترك في كثير من خصائص المجال العمومي الواقعي وعليـه تعتبر إضافة أشخاص مجهولين بالنسبة للمستخدم أول الطرق للتعرض للعنـف الرمـزي تمامـا مثلما نكون في مكان مادي في الواقع ونجهل فيه الكثـير مـن الأشـخاص أيـن يـزداد احـتمال التعرض للعنف المادي؛ لذلك يجب أن يؤمن المستخدم نفسه من العنف بالرموز من خـلال تفـادي طلب صداقات الشخصيات المجهولة أو قبولها.

- يتعين على المستخدم في حالة شعوره بالتعرض للعنف الرمزي من قبل مستخدم آخـر مهـما كانت صفته أو قرابته وأيا يكن نوع الرمز أو الإشارة؛ صورة كلمة،، نص، فيديو،نكتة. .. أن يضع حدا لهذا العنف بالتخلص النهائي من تواجد هذه الشخصية في فضائه، تفاديا للوقـوع في فـخ الجلاد الإلكتروني أو أن يكون عرضة للتعنيف بتواطؤ منه في حد ذاته.

ب) البعد الاجتماعي/المؤسساتي؛

- تنظيم دورات تحسيسية لفائدة مختلف المؤسسات التعليمية، الاقتصادية، الإدارية، الدينيـة. ..للتعريف بمفهوم العنف الرمزي وأخطاره وسبل الوقاية منه في المجالين الواقعي والافتراضي.

- دمج هيئات المجتمع المدني في عملية التوعية نظرا لامتدادها على مستوى مختلـف الفئـات الاجتماعية، أطفال، مسنين، مكفوفين، معاقين، مبدعين. ..

- برمجة حملات إعلامية تربوية على مستوى أجهزة الإعلام الكلاسـيكية والجديـدة وتصـميم محتوى اتصال فعال للحد من الظاهرة.

- تكتل الهيئات الحقوقية والقانونية لتشريع قانون يحدد الأطر القانونية للعنف الرمزي وسبل ردعه في المجالين الواقعي والافتراضي.

- مراجعة النخبة الجزائرية لخطابها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتمييز الفروق بين النقـد البناء والعنف الرمزي الهدام.

- إعادة تفعيل الآليات القانونية لإرساء العدل، والحق بين مختلف الفئات الاجتماعية في محاولة لرد الظلم والقهر الاجتماعي الناتجين عن سلب الحقوق فرض دلالات السلطة مما يؤدي إلى تنامي العنف ببعديه المادي والرمزي.
- البحث في إرساء مشروع ثقافي ضخم يستوعب مختلف التشكيلات الثقافية والحضارية للمجتمع الجزائري من هوية، لغة، دين، تاريخ. ..يكون عمادها الطرح القيمي والأخلاقي الباعثين على تماسك الماهيات الفردية داخل الكل الاجتماعي لتحقيق الوثبة الحضارية المطلوبة.

الهوامش:

1. بيير بورديو: العنف الرمزي؛ بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، (المركز الثقافي العربي، 1994)، ص 05.
2. إبراهيم بلوح: نظرية العنف الرمزي عند بيير بورديو:www.wattani.wordpress.com ، تاريخ التصفح: 04 فيفري 2017.
3. محمد قروق كركيش: العنف الرمزي؛ نحو تفكيك إستراتيجي للسلطة والقهر والهيمنة: www.ahewar.org، تاريخ التصفح: 04 فيفري 2017.
4. المرجع نفسه.
5. عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، الأردن، (دار الشروق)، ص18.
6. المرجع نفسه؛ ص 26.
7. المرجع نفسه؛ ص 27.
8. Algerian Internet Usage and Population Growth: ,www.internetworldstats.com seen the 05th february 2017.
9. المرجع نفسه.
10. علي أسعد وطفة: الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي:www.asharqalarabi.org ، تاريخ التصفح 20 فيفري 2017.
11. صابر بقور: تمثلات النسوية عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ خطاب المرأة المغاربية على موقع فايسبوك، دراسة مقدمة لأشغال الملتقى الوطني الثاني حول الإعلام وقضايا المرأة واقع ورؤى، 13– 14 أفريل 2016، كلية علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر3.

12. محمد قروق كركيش: العنف الرمزي؛ نحو تفكيك إستراتيجي للسلطة والقهر والهيمنة:مرجع سبق ذكرهُ.
13. إبراهيم بلوح: نظرية العنف الرمزي عند بيير بورديو، مرجع سبق ذكرهُ.
14. كريم أبو حلاوة: العنف الرمزي شكل من أشكال العنف ضد المرأة، www.thewhatnews.net، تاريخ التصفح 15 فيفري 2017.
15. بليل عبد الكريم: مفهوم النقد، www.alukah.net، تاريخ التصفح 23 فيفري 2017.